المسيحي والمجتمع والجماعة

من كتاب ((المؤمن والمجتمع))
الدكتور ريتشارد توماس

تمهيد:

المؤمنُ مثل غيره من البشر يعيش في مجتمع معيّن، ولا يستطيع أن يتهرّب من مجتمعه بوسائل اصطناعية غير طبيعية مثل التنسُّك. قال الرب يسوع: "لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ ٱلْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ ٱلشِّرِّيرِ" (أو الشر) (يوحنّا ١٧: ١٥). لقد أصاب أرسطو الهدف حين قال: "مَن لا يمكنه أن يعيش في مجتمع أولاً يحتاج أن يفعل ذلك، لأنه مكتفٍ بذاته، فهو إمّا وحش أو إله".

ما هو المجتمع؟

علينا أن نحدّد معنى هذا اللفظ لأنّ التعريف المبهم يشوّش البحث ويشوّهه. فيجوز أن نتّخذ الكلمة بمعانٍ ثلاثة:

١. المجتمع هو العالم الذي نعيش فيه.

٢. المجتمع هو النظام السياسي أو الدولة، التي ننتمي إليها.

٣. والمجتمع هو المشترك، أي الجماعة التي نحتكّ بها يوماً فيوماً مثلاً الأرمنيّ يعيش في لبنان، وأيضاً في مجتمع منفصل نوعاً ما عن الدولة التي يواليها.

ثمّ علينا أن نفهم كلمة عالم لمعنيين حسب العهد الجديد:

• العالم الشرّير، أو دنيا الشرور، التي ينبغي أن نبتعد عنها. قال المسيح: "هَمُّ هٰذَا ٱلْعَالَمِ وَغُرُورُ ٱلْغِنَى يَخْنُقَانِ ٱلْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلاَ ثَمَر" (متى ١٣: ٢٢). ويقول الرسول يعقوب: "حِفْظُ ٱلإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ ٱلْعَالَم" (يعقوب ١: ٢٧).

• وهناك عالم آخر عالم البشر، والجماهير الكادحة عالم المحتاجين والمساكين: "هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللّٰهُ ٱلْعَالَمَ" (يوحنا ٣: ١٦). واحتياجاتهم روحيّة نفسيّة ماديّة هذا العالم لا يصحّ أن نتهرّب منه، بل يجب أن نفتقده وفقاً لقول الرسول يعقوب.

دعنا نتكلّم قليلاً عن المجتمع «العالم» وماذا يجب أن يكون موقف المؤمن منه؟ لأن الله أحبّ العالم، بينما يحثّنا الرسول يوحنا «ألاّ نحب العالم ولا الأشياء التي في العالم». هناك شيء من التوتّر والتأرجح بين موقفَين أو بالأحرى مواقف ثلاثة.

١. الانغمار في العالم أو الانغماس فيه: ينغمس المرء في العالم ويقول «فلنأكل ونشرب لأنّنا غداً نموت» هذا موقف وثنيّ، كمَن يقول: لنا رجاء في هذه الحياة فقط. وعادة يكون الذي يعتنق هذا الشعار ليس دنيوياً فحسب بل أنانياً أيضاً، يهتم بمصلحته الذاتيّة. وهناك قوم يبتغون هذا الموقف لكن بفطنة، فلا يتطرّفون في الإدمان على الملذّات، لكنهم

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

يتجاهلون وجود عالمٍ آخر، هو عالم الروح. إن الحياة الدنيا مع كلّ أهمّيتها استعداد لحياة أخرى أخرويّة. وهناك آفاق وأبعاد وراء الأشياء التي تُرى .

٢. هناك موقف خاطئ أيضاً: الانعزال عن العالم، وهذا موقف النسّاك في الكنيسة القديمة وموقف بعض الرهبنات في أيّامنا. وحتّى موقف جماعة من الإنجيليّين المتطرّفين، الذين ينعزلون عن السياسة والخدمة الاجتماعية والثقافة والفنون. قرأنا عن ناسك كان يمكث على جبل سيناء، يرفض أن يرى أحداً، حتى الزوّار والحجّاج الذين أتوا ليزوروه، وأخيراً سجن نفسه في حجرة ديرٍ مدة ٣٥ سنة. ولما سُئل: هل أنت حيّ؟ أجاب: «أعتقد أنّي متُّ للعالم». فمثل هؤلاء يعيشون وكأنّ لا وجود للعالم. وهذه الحياة أيضاً حياة أنانيّة، شعار صاحبها: أريد أن أخلّص نفسي، ولا أبالي بما سيحصل لقريبي. فأين محبّة القريب كالنفس؟ فهل عقليّتهم سماويّة لدرجة أن لا فائدة عمليّة لكيانهم؟ والإنجيليّون المتطرّفون صار شعارهم: «السياسة من الشيطان» أو «الثقافة من الشيطان». وهكذا يتهرّب الروحانيّ من الواجب السياسيّ ومسؤوليّة التثقيف. بينما يغفل عن أخطاء مثل حبّ المال وتكديس الثروة .

٣. الاحتكاك أو الاعتناء بالعالم .هذا كان موقف يسوع من عالم البشر. لقد خالط الناس على اختلاف طبقاتهم وظروفهم، يهوداً كانوا أو يونانيّين، رجالاً أو نساء، عشّارين زناة أو غيورين قوميّين، فقراء أو أغنياء. قال العميد الكنسيّ أنج: «الروحانيّة القائمة على معرفة ما في العالم أمر ممتاز ممدوح. أمّا الروحانيّة التي تتجاهل ما في العالم وتفتخر بجهلها، فهذه لا تستحقّ المديح». ومثل هذا الموقف يتطلّب دمج المسؤول نفسه في الجماعة دمجاً ينشأ عنه ارتباط عاطفيّ وثيق. أحياناً يستعمل البعض كلمة «العناية الإلهيّة» بديلاً لاسم الله، فحوّلها لاهوتيّ عصريّ لعبارة "العناية القصوى".

يجب أن يتناول هذا الاعتناء الجميع، بدون تمييز عنصري طبقي أو طائفي. ويجب أن يشمل جميع أنحاء الشخصيّة الإنسانية. البعض يبشّر بحماس ويهمل وصايا الرب الأخلاقية، فعلينا بقدر الإمكان أن نغذّي الروح والعقل والجسد.

الجماعة:

وصف رئيس الأساقفة «تامبل» الديانة المسيحية بأنها مادية أكثر من أية ديانة أخرى. وقصد بذلك أنها تهتمّ بالاحتياجات الماديّة والأغراض العلميّة أكثر من البوذيّة والهندوسيّة. فاهتمامها يحوي التطبيب والتعليم والخدمة الاجتماعيّة وحتى السياسيّة. وكان هذا الأسقف ينتمي إلى حزب العمّال. فاهتمّ كثيرون من المؤمنين الإنجيليّين، لا سيّما في القرن التاسع عشر بالإصلاحات الاجتماعيّة، ومن بينهم ولبرفورس ولنكولن اللذين اهتما بتحرير العبيد، ولورد شفتسبري الذي اهتم بإغاثة العمّال، وأليزابيت فراي التي اهتمت بإصلاح السجون. وفي ألمانيا اهتم أيفافان ونكلير بالمعاقين. فعلينا أن نحاول في مجتمعنا أن نتمثّل بهم رغم أننا أقلية عددية، ونكون مِلْحاً للأرض، ونوراً للعالم، وبلسماً في المجتمع.

ويمكن أن نمثّل علاقة المؤمن بالمجتمع الصغير، أي بالجماعة، أهل الحيّ، بخطٍّ أفقيّ. وعلاقته مع الله بخطّ عموديّ، وإن كان الاثنان مستقيمَين فسنجد نقطة تقاطع تمثّل المسيح، فيتمثّل لنا شكل صليب. وعلينا حسب تعاليم العهد الجديد أن نُصلح صلتنا مع الله أولاً، ثم نحاول بنعمة الله وقوة روحه أن نُصلح صلتنا بالناس. هناك علاقات متوتّرة بين أفراد العائلات، وبين الزملاء في المؤسَّسة، وبين الجيران في القرية، ومحبّتنا للقريب برهان علنيّ لمحبّتنا لله: "لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ ٱلَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ ٱللّٰهَ ٱلَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ" (١يوحنا ٤: ٢٠).

ما هي الديانة الطاهرة عند الله، وما هو بندها الأوّل؟ إنه افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم (يعقوب ١: ٢٧). وهناك قولٌ موازٍ لبولس الرسول: "احْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ وَهٰكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ ٱلْمَسِيحِ" (غلاطية ٦: ٢) أي أنّ نواميس العهد القديم الاجتماعية تُلخَّص في حمل أثقال الآخرين. فالأرامل واليتامى من أعجز أعضاء المجتمع، وهم عادة

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

مُهمَلون، يرمزون إلى الجماهير الضائعة التي ليس لها رجاء، ويرجون الافتقاد. وعندما أقام يسوعُ اليتيمَ ابنَ الأرملة من بين الأموات في مدينة نايين، هتفت الجماعة: "افتقد الله شعبه" (لوقا ٧: ١٦).

لم يأتِ يسوع مخلِّصاً للنفوس وحسب، بل جاء أيضاً ليشفي المرضى ويردّ البصر ويصحّح المجنون ويغذّي الجائع. وأضاف على كلّ ذلك بتقديم الخمر لأهل العرس (يوحنا ٢: ١ ١١)، كما بكى مع الباكين (يوحنا ١١: ٣٥) كأنّه يقول لحاجة الإنسان: نعم أنا أسدّها. وفوق ذلك سدّد كلّ الاحتياجات بما يفرح أصحابها ويعزّيهم أيضاً.

هناك حركات اجتماعيّة تستهدف إسعاف الفقراء والمساكين. ويجب على المؤمنين أن يكونوا من روّاد هذه الحركات في بلادهم. استمعتُ إلى أسقف إنجيليّ شاب، كان رياضياً مشهوراً، وقضى السنين الأولى من خدمته في حيٍّ حقير في لندن، يخدم الفتيان والفتيات المشرَّدين، وبرز مؤخّراً في كفاحه ضدّ التمييز العنصريّ. ولما سألوه: «هل من المفروض على المؤمن أن يساهم في إصلاح المجتمع؟» فأجاب: "نعم، ولكنّ كلّ مؤمن في ناحية معيّنة محدودة، لكي لا نبدّد جهودنا ونركض هنا وهناك بلا جدوى. فلنذهب واحدٌ هنا وآخر هناك بين الأولاد والشباب والعجزة والمعاقين والفقراء والمدمنين. فإن الفقراء دائماً معنا، وما أمسّ الحاجة لأن يكون المجتمع مستعداً لسدّها".

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com